غرفة مئة وثمانية

فيها تزوجا، وفيها قتل، وقبل ذلك بقليل لجأ إليها علي هربا من أبيه، أما ابتسام فقد أنجزت فيها مهمتها الأخيرة قبل الاستقرار في بيت صغير بإحدى البلدان الخارجية.

كانت تصرفاتهما غامضة ولم يفصحا إلا عن اسميهما، فلم يزعجا أحدا طيلة مكوثهما حتى لو بهمسة، فالفندق يكاد ينسى أنهما من نزلائه لولا دفاتره التي ترصد أسماء النزلاء باستمرار.

دخل مع عروسه باب الفندق وحجز غرفة تحمل رقم مئة وثمانية، عرضوا عليه الشروع بمراسم الزفاف كضيافة وتبريك من الفندق. لكنهما رفضا، ففي منطقتهما عزاء.

لملموا شتاته بغطاء أبيض، ووضعوه بثلاجة الموتى حتى يحين موعد الدفن، كانت ثلاجته تحمل الرقم (108). منظره كان مروعا للغاية، فأشلاؤه المقطعة لم تغب عن بال غاسله بعد، وابنه ما زال يغشى عليه حينما يتذكر صورة أبيه الأخيرة.

اجتمع أهل القرية بأسرها أمام بيت أبي علي، فأخيرا قد حضر الضيف الجديد، وأشرقت السعادة على دنيا أبي علي ، فقد أنجب ابنه الأول الذي طال انتظاره، وقد بدا على كل ضيف من الضيوف الارتياح التام، والفرحة الحقيقية ما تزال تنبع من عيونهم. فأبو علي شخص طيب ولا يستحق إلا كل خير، فهذه شهادة معارفه له، فهنيئا للضيف الجديد بالتربية الصالحة التي سيحظى بها.

قبل ذلك بسنوات، قدم أبو علي استقالته لوزير التربية، فلم يعد قادرا على تقديم المفيد لطلبته، فعقله مشوش بقضية الإنجاب، ولن يقدر أبدا أن يخون طلبته، فهو من النوع الذي إذا عمل عملا أتقنه، فكانت استقالته الحل الوحيد له كيلا يكون مضغة لينة تحت أنياب الضمير المفترسة.

جمع ما اكتنزه من نقود طيلة حياته، وانطلق هو وزوجته إلى رحلة علاج طويلة خارج البلاد، وقد صاحباها برحلة إيمانية بحتة،

ممتزجة بجرعات الدعاء المتصلة، فالبنون زينة الحياة الدنيا، وقد استجاب الله لهما، ألم يأمرنا الله بالدعاء؟ ألم يعدنا أيضا بالاستجابة؟ ألم يكن أبو علي صاحب خلق ودين عظيمين؟ فهنيئا له باستجابة الرب.

مهنة معظم الأطفال المستقبلية هي الطب، وربما قد صادفنا أحد الأطفال في حياتنا وسألناه عما سيعمل في المستقبل، حينئذ سيصيح بصوت عال قائلاً: طبيب، وهكذا كان حال علي، فحينما يصادفه أحد المارة ويسأله السؤال ذاته يجيبه علي بالإجابة ذاتها، والأب ما يزال ينتهز كل فرصة لاستغلال إجابة الابن لصالح ذلك المستقبل، فقد ترسخت تلك الإجابة في ذهن علي منذ الصغر، وكافح الأب من أجلها، فعلي منذ هذه اللحظة هو طبيب القرية المنتظر.

مرة أخرى جمع أبو علي ما اكتنزه من نقود منذ انجاب علي حتى هذه اللحظة، فالتجارة عمل مبارك به، يكفي أنها كانت رزق عائلة أبي علي بعد تقديم استقالته، واليوم سيسافر علي ليعود بشهادة الطب. جهزت أمه متاعه ووضعت اللمسات الأخيرة عليها، وحبس والده أنفاسه المستنكرة للواقع بين خفايا جوفه، وتظاهر بعدم مبالاة واضحة، وتجمع أهل القرية حوله ما بين مدرك وغير مدرك وكأنه قصعة وهم الأكلة، وأقبل الأقارب من كل صوب، ليقبلوه القبل الأخيرة قبل السفر،إلا أن هذه القبل لم تغن عن لهيب حارق بجوف الأب، ودموع تنساب على وجنتي الأم، إلا أن الطب ينتظر من أحب الإقبال عليه، هيا يا علي جهز الركب وتوكل على الله.

أثناء رحلة نمو علي في قطار العمر، وبالتحديد عند وصوله لبداية محطة المرحلة الإبتدائية، كان الأب فخورا جدا بذكاء ابنه وتميزه في دروسه، لولا مادة الرياضيات التي كانت تشككه في ذكاء ابنه، هذه المادة نفسها التي جعلت أبوعلي ولأول مرة أن يلطم ابنه على وجهه بسبب مسألة حسابية، فقد كان يشعر أبوعلي أن هذه المسألة قد حطمت الفتى النابغة الذي تشكل في مخيلته، لذلك ما زال رقم (108) عالقا في ذهن الإثنين حتى هذه اللحظة، لقد كانت المسألة

عبارة عن جمع العددين(100) و(8)، وقد كان علي يعطي الإجابة رقم (900)، وكان له تبريره الخاص في ذلك، فقد كان يضع المسألة بشكل عمودي على هامش ورقة الإجابة، ثم يكتب الرقم(100) وبأسفله مباشرة الرقم (8)، ويضع اشارة الجمع في موقعها من المسألة، لكن كانت مشكلته أنه كان يضع الرقم (8) تحت الرقم (1)، فيحل الرقم (8) في منزلة المئات بدلا من الآحاد، ثم يقوم بعملية الجمع، وبعد مرات عديدة من تكرار حل المسألة بشكل صحيح من قبل الوالد، لم يتمكن علي من استيعاب الموضوع، لدرجة أن والده لم يتمالك أعصابه ولطمه على وجهه.

ليس من المهم البحث عن صحة تصرف الوالد في ذلك الموقف، المهم أن علي قد أصبح بعد تلك اللطمة من المميزين في مادة الرياضيات وبالتحديد في جمع المسائل الحسابية، وقد بقي الرقم (108) بالنسبة له رمزا معبرا عن التقيد بالتعليمات وطاعة الوالد.

ترعرع علي لسنوات عديدة في أحضان الدولة المستضيفة له، وتعلم الطب بمهارة تامة، وأنجز أحلامه وأحلام أبيه ببراعة، وقد كان والده يتلقى أخباره بشيء من الكبرياء المشروع، فقد كاد أن يصل طبيب القرية. وقد كان الرقم (108) شعاره في التميز، لكنه لم يعلم في الوقت نفسه أن هذا الرقم هو السبب في هلاكه لاحقا.

بعد مضي (108) أيام من سفره تعرف علي على فتاة من الجاليات العربية في تلك الدولة وأخبرته أنها تدعى ابتسام، لقد كانت صاحبة شخصية مرموقة، فقد كان السحر الملازم لشخصها يسري مفعوله في الشخوص الطيبين أمثال علي. لم يتمكن علي من التملص من سحرها والوقوع في حبها، رغم كل الشبهات التي تحيط بها، فهي امرأة غريبة الأطوار تنتمي إلى إحدى المنظمات المنبوذة اجتماعيا، وتستمد فكرها من طقوس دينية غريبة مستحدثة، وربما أنها وجدت في علي فرصة لنشر أفكار المنظمة التي تنتمي إليها في بلده. فقد وقع علي ضحية فتنة المال والنساء معا... اللهم إنا نسألك الرحمة.

لم يتمالك والده نفسه مجرد ما سمع الخبر، فقد جمع كل أنفاسه في يده لعلها تعينه على لطم ابنه الماثل أمامه الآن ليردعه عن فعلته، فكيف له أن يتزوج من هذه، لقد كان حلمه أن يعود ابنه طبيبا فحسب، يعين الناس على أحوالهم، ويساهم في رفعة مجتمعه، كيف له أن يصنع كل ذلك وهذه الشيطانة تقف بجانبه وتحتضن ذراعه بشغف وكأنها تريد أن تقول "ابنك لم يعد ابنك، ابنك أصبح منذ هذه اللحظة عبدا للشيطان".

ركع الأب على ركبتيه وعيناه ما تزالان تهطلان ماءً مؤلما، فلقد سأل ربه أن يعينه على مصيبته، فلعل الرب يستجيب، فأبو علي ما يزال صاحب خلق ودين عظيمين ، ولم يُعد ابنه لمثل هذا اليوم بتاتا، لقد سعى أن يصنع منه رجلا صالحا، خيره لمجتمعه وناسه، حقاً إنها الطامة.. لكن ما يزال هناك أمل يستقر في أعماق النفس قبل أن يقع ابنه في المحظور...

خرج علي برفقة عروسه وتوجه إلى فندق العاصمة الكبير، فلم يعد له مكان في بيت أبيه بعد اليوم. أعطوه مفاتيح غرفة (108) فقد حجز فيها دون أي خيار منه، ولم يسأل نفسه عن السبب، فربما هذه هي سياسة الفندق، أو ربما لم يتبق غرفة غير محجوزة في الفندق غيرها، لكن العجيب في الموضوع أن رقم الغرفة لم يلفت انتباه علي.

مكث لمدة معينة، وشرع بتنفيذ جمعية مختصة بالشيطان وأتباعه، وقد كانت ابتسام رئيسة الجمعية، والتمويل عبارة عن سيل جارف لا ينضب، وهذا شيء طبيعي بما أن التمويل مصدره خارجي.

انهارت حالة الأب الصحية، ولم تعد قدماه قادرتين على حمله، فاستعان بالكرسي المتحرك، وآثر البقاء في البيت ليتوارى عن أعين الناس، وعاهد نفسه ألا يخرج من بيته بتاتا لولا سماعه عن خبر انشاء تلك الجمعية الملعونة، لذلك خرج من بيته على كرسيه المتحرك بعدما ترك عقله وراءه وتوجه إلى الشارع الرئيسي لينقذ ولده مما هو فيه ، وقد كان قضاء الله وقدره أن يريحه مما هو فيه، وأن تنتقل روحه الطاهرة إلى بارئها، وأن يتحول هذا الجسد الزكي

إلى أشلاء مقطعة وملطخة بالدماء المقهورة، إثر حادث سير مروع لم يصل ترويعه إلى درجة الترويع التي أصابت المرحوم عندما رأى ابنه في حالته المنكوبة تلك.

لم يستجمع علي قواه، وذهب إلى المستشفى رغم معارضة ابتسام الشديدة، فقد آن الآوان كي ينسى أهله ويمحوهم من ذاكرته، لكن بقايا الضمير ما زالت مستيقظة في داخله. لكنها لم تستيقظ لمدة طويلة فقد أغشي عليها حينما أغشي على علي مجرد ما رأى أكوام أبيه.

بعد كل تلك الأحداث، قرر علي أن يستقر في بيت خاص به، لذلك توجه إلى موظف الفندق كي ينهي إجراءات الإقامة المؤقتة، لكنه تفاجأ أن حساباته مدفوعة سلفا، وحينما سأل عن ذلك، تبين أن والده قد حجز له في غرفة (108) على الهاتف قبل وصول علي إلى الفندق، وجاء بعد مدة بسيطة، ووضع مبلغا من المال يكفي لبقاء ابنه في الفندق لمدة لا بأس بها، وأعطى الموظف رسالة كي يعطيها لعلي حينما يقرر الخروج، بالإضافة إلى المال المتبقي له، فتح علي الرسالة وهو في هول الصدمة ووجد فيها خطابا من أبيه حيث كتب له:

"لقد حققت حلمي يا بني وأصبحت رجلا بالغا، وقد درست الطب وأبدعت به، كل ذلك كان بسبب لطمة لطمتك إياها وأنت صغير، لكني شعرت فيما بعد أنك ما تزال بحاجة للطمة أخرى كي تعيدك لرشدك، لكن كيف لي أن أفعل ذلك وقد أصبحت رجلا وأمرك بيدك، فقررت أن أذكرك فيما مضى وأحجز لك بالغرفة التي تحمل رقم (108) لعلها تذكرك بلطمتي تلك، وتلطمك نيابة عني وتعيدك إلى رشدك ودينك ومبادئك، فإني ما أزال أطمع بذلك، ومتيقن أنك ستفعل ذلك... فهلا فعلت يا بني؟!"

تغرغرت عينا علي بدموع الندم، وشعر فعلا بتلك اللطمة، واستيقظ الضمير الحي في داخله، وعاتبته النفس اللوامة بشدة، فقرر أن يعود لما كان، وما أجمل ما كان، فباب التوبة ما يزال مفتوح.

وتاب علي...

لكن إن كان هذا الخبر بمثابة فرحة عظيمة لكل عاقل ومتابع للحال، فلن يكون الأمر هكذا بالنسبة لابتسام ومنظمتها، فهذا أسوأ خبر يسمعونه على الإطلاق ، وخصوصا بعدما عرف الكثير والكثير عن أسرار المنظمة وخفاياها، فلا بد أن تموت تلك الأسرار في داخله. لذلك دخلت ابتسام غرفة (108) و أنجزت فيها مهمتها الأخيرة قبل الاستقرار في بيت صغير بإحدى البلدان الخارجية...

... لقد قتلت علي!

النهاية